

عبدالله بن طاهر ودوره في ازدهار سياسة الخلافة العباسية وإنجازاتها

الدكتور كمال الدين طباطبائي

الأستاذ المساعد بجامعة فرهنگیان ، قسم المعارف الإسلامية ، طهران ، إيران

tabataba.kamaledin@gmail.com

**The position of Abdullah ibn Tahir in the advancement and success
of the policies of the Abbasid Caliphate**

kamaledin tabatabaie

**Assistant professor , Department of Islamic Education , Farhangian
University , Tehran , Iran**

Abstract:

The reign of Ma'mun and Mu'tasim Abbasi is considered the golden age of the Abbasid caliphate and Islamic civilization. Abdullah Ibn Tahir is one of the leading men of this golden age. During his father's life, Tahir, Abdullah entered the government of Ma'mun and after the death of Tahir and Talha Ibn Tahir became the ruler of Khorasan. The most important results of Abdullah's actions are:

1. Suppression of Ma'mun Abbasi's enemies in Iraq, Syria and Egypt before he became the ruler of Khorasan.
2. Repelling the enemies of the Abbasid Caliphate, including the Alawites, Kharijites and non-Muslims of Tabarestan, during his rule over Khorasan.
3. Accompanying Abdullah Ibn Tahir with the micro and macro policies of the Abbasid Caliphate.
4. Promoting the religion of the Abbasid Caliphate, which caused the widespread tendency of the people of Greater Khorasan and Sistan to the Sunni religion.
5. Due to the favorable rule of Abdullah Ibn Tahir, the common political, economic and religious interests between the Taherians and the Abbasids in the eastern lands of the Caliphate were secured.
6. Abdullah's favorable rule in Khorasan led to the formation of a system of hereditary governments in the history of post-Islamic Iran.

Key words : Abdullah Ibn Tahir ,
Ma'mun Abbasi ,
Mu'tasim Abbasi ,
Mazyar's revolt ,
Kharijites of Sistan .

الملخص :

يمثل عهد المأمون والمعتصم العباسي من العصور الذهبية للخلافة العباسية والحضارة الإسلامية. ويعتبر عبد الله بن طاهر من أبرز الرجال الذي مهد الطريق لهذا العصر الذهبي. انضم عبد الله خلال حياة والده طاهر إلى حكومة المأمون وبعد وفاة طاهر وطلحة بن طاهر، تولي زمام حكم خراسان. كانت أهم نتائج خطوات عبد الله هي:

١. قمع أعداء مأمون العباسي في العراق وسوريا ومصر قبل أن يتولي حكومة خراسان.
٢. محاربة أعداء الخلافة العباسية من العلويين والخوانسار وغير المسلمين في طبرستان أثناء حكمه لخراسان.
٣. مرافقة عبد الله بن طاهر في السياسة الجزئية والكلية للخلافة العباسية.
٤. إشاعة مذهب الخلافة العباسية مما أدى إلى نزعة أهل خراسان الكبرى وسيستان إلى مذهب السنة.
٥. قد تم تأمين المصالح السياسية والاقتصادية والدينية المشتركة بين الطاهريين والعباسيين في الأراضي الشرقية للخلافة نتيجة للحكم الإيجابي لعبد الله بن طاهر.
٦. قد أدى الحكم الإيجابي لعبد الله بن طاهر في خراسان إلى تشكيل نظام الحكم الموروثي في تاريخ إيران ما بعد الإسلام.

الكلمات المفتاحية : عبدالله بن طاهر ،
المأمون العباسي ، المعتصم العباسي ، ثورة مازيار، خوانسار سيستان .

المقدمة

بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد، قد تولى محمد الأمين عرش الخلافة العباسية. وقام بعزل شقيقه المأمون من ولاية عهده. لكن المأمون الذي كان يدعمه سادة خراسان وجنودها بمن فيهم طاهر بن الحسين ووالده لم يخضع لذلك فأرسل جيش خراسان بقيادة طاهر لمحاربة قوات الأمين وتمكن من تحقيق الخلافة بعد مقتل الأمين. لقد كان مديناً بنفسه للخراسانيين وكان يثق بهم تماماً، مما منحهم معظم المناصب العسكرية والحكومية في خلافته. وقد أفسح بذلك المجال لآل طاهر وأقاربهم لإظهار جدارتهم. حتى أصبح طاهر قائداً عاماً لقوات الخلافة وبعد فترة سلمت له حكومة منطقة واسعة ومهمة جداً من خراسان الكبرى. مع مغادرة طاهر إلى مرو، خلفه ابنه عبد الله في بغداد وأعطى مهام عسكرية هامة. يحاول هذا المقال تحليل أثر حضور عبد الله على التطورات السياسية للعباسيين من خلال دراسة علاقات عبد الله بن طاهر مع الخلافة العباسية. يتطرق هذا البحث إلى دور عبد الله بن طاهر ومكانته في تقدم سياسات الخلافة العباسية. فإن الأسئلة التي يمكن طرحها حول هذا الموضوع وتسعى هذه الدراسة إلى دراستها وتحليلها هي: ١- ما هي الأسس التي كانت تقوم عليها العلاقات بين العباسيين والطاهريين قبل عبد الله؟ ٢- ما هي الإجراءات التي اتخذها عبد الله بن طاهر بما تتماشى مع الأهداف السياسية والدينية للعباسيين وما هي آثار هذه الإجراءات على الظروف السياسية للخلافة العباسية؟ ٣- ما هي المصالح التي نالت بها آل طاهر من الإصطفاف السياسي والديني لعبد الله بن طاهر مع العباسيين؟ تقوم هذه المقالة على النمط الوصفي والتحليلي واستناداً إلى كتب المكتبة واعتماداً على المصادر والأبحاث التاريخية.

١- علاقة آل طاهر ببني العباس قبل عبدالله بن طاهر

يعود تاريخ علاقة الطاهريين بالعباسيين إلى الخلافة الأموية. كان الجد الأكبر لآل طاهر شخصاً يدعى زريق وكان له ثلاثة أبناء هم طلحة ومصعب وصبيح. (أخبار الدولة العباسية، ١٣٩١قمرى، ٢١٧-٢١٥ و ٢٢٣) ومن أبنائه الذي اشتهر في التاريخ هو أبو منصور طلحة بن زريق الجراحي من قبيلة خزاعة وقد شارك في ثورة عبد الرحمن بن أشعث. (الطبري، ٤٥٥٢، ١٣٧٥-١٠/٤٥٥١) في سنة ١٠٠ق. ٧١٨م. وفي بداية دعوة بني العباس كان من الإثني عشر النقيب الذين قبلوا إمامة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وعمل في خراسان مع إخوته ضد الأمويين (ن.م، ٩/٣٩٦٤) كان طلحة بن

الرزيق مسؤولاً عن مراسلات دعاة العباسيين مع إبراهيم الإمام العباسي. (الجهشياري، ٨٥، ١٣٤٧) لما توجه أبو مسلم إلي خراسان وتولى قيادة الثورة العباسية، كان طلحة بن رزيق شيخاً ذا خبرة، واختاره أبو مسلم مستشاراً مقرباً لنفسه، حيث كان يأخذ برأيه في جميع أعماله وكان يخصصه بالإحترام. (الطبري، ٤٥٥٢، ١٣٧٥-١٠/٤٥٥١) فقد واجهت الخلافة العباسية منذ بداية تأسيسها، وخاصة بعد اغتيال أبي مسلم، ثورات معادية للإسلام ومناهضة للعباسيين كثورة الأستاذسيس، والمقنع، ويوسف البرم، والخوارج والعلويين في أرض خراسان الكبرى. قد ساعد أسلاف سلالة طاهر في هذه الثورات الخلفاء العباسيين كخلفاء لخلافتهم. على سبيل المثال، أثناء تمرد يوسف البرم عام ١٦٠هـ/٧٧٦م. قد واجهه مصعب بن طلحة الذي كان حاكماً لمدينة بوشنج آنذاك على الرغم من أنه اضطر أن يهرب من المدينة، إلا أنه استعاد السيطرة على بوشنج بعد قمع الثورة. (الگرديزي، ١٣٦٣، ٢٨٠) ومن بعد مصعب، قد تولي ابنه الحسين حكومة بوشنج. كان الحسين بن مصعب من كبار خراسان وكانت لديه السلطة وله الدور الأساسي والحاسم خلال خلافة هارون الرشيد في عزل حاكم خراسان الطاغية المسمى علي بن عيسى بن ماهان. (الطبري، ١٣٧٥، ١٢/٥٣٤٧) بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد، قد نشب خلاف بين الخليفة العباسي الجديد المسمى محمد الأمين وشقيقه المأمون وقام بعزل شقيقه المأمون من ولاية عهده. لكن المأمون لم يخضع لذلك، واستعد لمحاربة الأمين. في مثل هذه الظروف بايع حسين بن مصعب المأمون الذي كان يقيم في خراسان. (الطبري، ١٣٧٥، ١٢/٥٤٠٥)

قد حارب طاهر بن الحسين الخوارج عدة مرات كقائد للجيش العباسي في خراسان (الگرديزي، ١٣٦٣، ٢٩١) وكان يعاملهم بالقسوة والعنف. (عبدالقاهر البغدادي، ١٣٥٨، ٦١) عندما تولي هرثمة بن أعين ثغر خراسان بخط من هارون الرشيد، أمر طاهر من قادة جيشه أن يواجه رافع بن ليث الذي ثار في ماوراء النهر. (الذهبي، ١٤٠٧ ق. ١٩٨٧م. ١٣/٢٠) فهذه الخلفية جعلت المأمون ووزيره الكبير فضل بن سهل أن يسلموا إليه القيادة العامة لجيش خراسان في الحرب مع الأمين. (الطبري، ١٣٧٥، ١٢/٥٤٦٠)

وتمكن طاهر في معركة حاسمة من هزيمة جيش محمد الأمين الذي كان يبلغ قوامه ٥٠ ألف جندياً بقيادة علي بن عيسى في الري. (المسعودي، ١٣٧٤، ٢/٣٩٢) بعد هذا الإنصار بايعوا المأمون علي الخلافة وأطلقوا عليه أمير المؤمنين. (الأصبهاني، ١٣٤٩،

(٢٠٤) ولقبه المأمون بـ «ذو اليمينين». (ابن خلدون، ١٣٨٣، ٢/٤٢٧) وحاصر طاهر بغداد خلال عدة معارك مع قوات الأمين حيث استمرت نحو ١٥ شهراً وقتل الأمين بعد اعتقاله. (ابن كثير، ١٤١٨ق.م. ١٩٧٧/١٠، ٢٤١؛ الذهبي، ١٤٠٧ق.م. ١٩٨٧/١٠، ١٣/٦٠) وهكذا تسلم المأمون الخلافة.

فلما غادر المأمون خراسان إلى بغداد، قد ولي طاهر قائداً عاماً لقوات الخلافة. (اليعقوبي، ١٣٧١، ٢/٤٧٥) واستطاع طاهر أن يقضي علي الثورات المعارضة للمأمون ويوطش بهم ويحل السلام في أجواء سياسة الخلافة. وفي سنة ٢٠٥ق.م. ٨٢١/١٠. استعمل المأمون طاهر بن الحسين على المشرق، من مدينة الحلوان إلى أقصى عمل المشرق. (ابن الجوزي، ١٣٥٨ ق. ١٠/٢٥٤؛ ابوالفداء، بي تا، ١٦٦) وفي سنة ٢٠٧ ق. ٨٢٣/١٠. لقد قطع طاهر الدعاء للخليفة العباسي في الخطبة وبهذا فهو يعلن عن خروجه عن الدولة العباسية لكنه مات في نفس الوقت بشكل مشير للريية. (الأصبهاني، ١٣٦٧، ٢٠٥)

لكن ابن طاهر وخليفته، طلحة، لم يوافق على مبادرة والده لمعارضة الخليفة، واعتقد بحكمة أنه وآل طاهر يدينون بالولاء للخلافة العباسية. ولهذا أعلن ولاءه للخليفة. (النويري، ١٤٢٤ ق. ٢٠٠٤/١٠. ٢٢/١٥١) بسبب الإضطرابات والثورات التي كانت تستمر في خراسان منذ بداية الخلافة العباسية وكانت تثير القلق في بغداد (الجهشياري، ١٣٤٨، ٣٥٣-٣٥٢؛ ابن خلدون، ١٣٨٣، ٢/٤٢٢) ولما كان الحفاظ على السلام والطاعة في خراسان مهماً جداً لبغداد، عندما استشار الخليفة وزيره أحمد بن أبي خالد الخراساني في تسليم حكومة خراسان، فقد أعجب برأيه في اختيار طلحة. وقال: «الصواب. فأكتب بتوليته» (ابن طيفور، ١٤٢٣ق.م. ٢٠٠٢/١٠. ٧٤) فأقام طلحة والياً على خراسان سبع سنين. (اليعقوبي، ١٣٥، ٨٤؛ العكري الحنبلي، ١٤٠٦ق. ٣/٣٥) ومن جهة أخرى، تم تعيين عبد الله بن طاهر قائداً لقوات المأمون في الحرب ضد معارضييه. ولكن وفقاً لآراء بعض المؤرخين فقد تم اختيار عبد الله والياً لخراسان بعد طاهر وكان طلحة نائباً لعبد الله في خراسان. (خليفة بن خياط، ١٩٩٥/١٤١٥، ٣١٣؛ العكري الحنبلي، ١٤٠٦، ٣/٣٥) ولكن لم يكن هناك فارق من حيث المبدأ لأن المأمون قد استغل ابني طاهر لمصلحته.

قد بذل طلحة قصارى جهده لقمع الخوارج خلال حكمه لخراسان (الگرديزي، ١٣٦٣، ٢٩٨) وقد أصيب في إحدى هذه المعارك. (ابن طيفور، ١٤٢٣ق.م. ٢٠٠٢/١٠، ٩٤) ومع ذلك، كان الخوارج تهديداً كبيراً لأمن خراسان الكبرى في وقت وفاة طلحة.

ووفقاً للمقدمة الآتية الذكر، يجدر الإشارة أن قبل دخول عبد الله بن الطاهر في ساحة سياسة الخلافة العباسية، كانت العلاقات بين العباسيين والطاهريين مبنية على أساس أهداف ومبادئ، هي: ١- الولاء الدائم من قبل آل طاهر للعباسيين. ٢- مواجهة آل طاهر لأعداء الخلافة العباسية من أي قومية وعنصر سواء كانوا إيرانيين أم عرباً. ٣- منح المناصب والمسؤوليات الحكومية، بما في ذلك حكومة خراسان الكبرى، لآل طاهر من قبل الخلفاء العباسيين.

٢- علاقة عبدالله بن الطاهر بالمأمون العباسي (٢١٣-٢٣٠ ق. ٨٢٨-٨٤٤ م.)

٢-١ بداية علاقة عبدالله بن الطاهر بالمأمون العباسي

ولد عبدالله بن الطاهر عام ١٨٢ق. / ٧٩٨م. (الگردیزی، ١٣٦٣، ٢٩٩) وقد دخل بلاط المأمون منذ الصغر مع والده طاهر وجده الحسين وشاهد حروب الأمين والمأمون و وما تلاها من التطورات. وكان عبدالله ملازماً لمأمون في طريقه إلى بغداد. ولما سلم مأمون حكم خراسان إلى طاهر وغادر طاهر إلى خراسان كان المأمون يخاف تمرّد طاهر ولأن تكون معه رهينة قال لطاهر: «لا بد أن يكون ابنك عبد الله معي». (الشبانكاره اي، ١٣٨١، ١/٣٧٤) و ومع ذلك، بسبب حضور عبد الله في بلاط المأمون أصبح الخليفة يهتم به. ولما أخطأ عبد الله في بغداد وقد عاتبه والده، قد عفي عنه طاهر بشفاعة المأمون. (الشابشتي، ١٣٨٦ق. / ١٩٦٦م.، ٣١) استطاع عبدالله بن طاهر أن ينال الثقة الكاملة لمأمون فعندما اتهمه أحد معانديه بميله للعلويين (ابن طيفور، ١٤٢٣ق. / ٢٠٠٢م.، ٨١) دفع المأمون ذلك وأنكره فدرس إليه أحد رجاله ليطمئن منه. وقال له عبد الله لاستجابة دعوته للانضمام للحركة العلوية أن له خاتم في المشرق جائز، وفي المغرب كذلك وفيما بينهما أمره مطع، وقوله مقبول، ثم ما التفت يمينه ولما شماله وورائه، وقدامه إلّا رأي نعمة لرجل أنعمها عليه. فهل يجوز أن يغدره وينكث بيعته؟ فلما أيس الرجل بما عنده جاء إلى المأمون فأخبره الخبر فاستبشر وقال: «ذاك غرس يدي، وإلف أدبي، وترب تلقحي». (الطبري، ١٣٧٥، ١٣/٥٧٣٦؛ ابن المسكوية، ١٣٧٩، ٤/١٦٣) وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، وقد عينه وصياً على بلاطه والإشراف على جميع علاقات بلاط الخلافة. (ابن خلّكان، ١٣٩٨ ق. / ١٩٧٨م.، ٣/٨٣؛ البيهقي، ١٣٧٤، ٣٣) وبسبب هذه الثقة أوكل المأمون مهاماً عسكرية مهمة إلى عبد الله خلال فترة خلافته، واستجاب عبد الله ثقة الخليفة بشكل جيد وظل موالياً ومطيعاً له حتى وفاة المأمون.

٢-٢- القضاء علي ثورة نصر بن الشيث علي يد عبدالله بن ظاهر

عندما غادر المأمون خراسان إلى بغداد، ذهب طاهر بن الحسين من الرقة إلى المأمون، فولّي المأمون طاهر حكومة الرقة والموصل والجزيرة وخراسان والعراق لطاهر، واستخلف طاهر ابنه عبد الله في الرقة. (الشبانكاره اي، ١٣٨١، ١/٣٧٣) وفي عام ٢٠٦ ق. ٨٢١ م. كتبت مراسيم حكم الجزيرة والشام ومصر والمغرب لعبد الله بن طاهر (اليقوي، ١٣٧١، ٢/٤٧٧) وولّي عبد الله في أول مهمة عسكرية له قائداً لجيش الخلافة لمحاربة نصر بن شيث. (الذهبي، ١٤٠٧ ق. ١٩٨٧ م.، ١٤/١٩) ويبدو أنّ المأمون قد تشاور مع والده طاهر في اختيار عبد الله بن طاهر لهذه المعركة، ورغم أنّ طاهر كان يعتبر ابنه جديراً وكفوّاً إلّا أنه لم يكن لديه رأي إيجابي بشأن هذا الاختيار. لكن في حديث مع عبد الله بن طاهر، قال له المأمون: «إنّي أستخير الله عزّ وجلّ منذ شهر وأرجو أن يخير الله لي وقد رأيته فوق ما وصفك أبوك» (الطبري، ١٣٧٥، ١٣/٥٦٩؛ ابن المسكوية، ١٣٧٩، ٤/١٥١)

بعد أن كانت لعبد الله بن طاهر معارك طويلة مع نصر بن شيث في نهاية المطاف في سنة ٢٠٩ ق. ٨٢٤ م. اضطره إلي اللجوء والإستسلام. (العكري الحنبلي، ١٤٠٦، ٣/٤٦ ؛ ابن جوزي، ١٣٥٨ ق. ١٠/٢٧٢) وفي هذا المجال لـ «بطين» الشاعر الحمصي أبياتاً قد أنشدها لعبد الله:

ما ييالي المأمون ايده الله	إذا كتمت له باقين
أنت غرب و ذاك شرق مقيما أنت	اي فتق اتى من الجانبين
و حقيق إذ كتمت في قديم	لزيق و مصعب و حسين
ان تنالا ما نلتماه من المجد	وان تعلوا على الثقلين

(الطبري، ١٣٧٥، ١٣/٥٧٣١)

وجدير بالذكر أنّ أثناء حصار نصر بن شيث فقد قطع طاهر الدعاء للخليفة العباسي في الخطبة وكتب المأمون عبد الله بن طاهر موته لأنّه كان يخشي أن يتأثر عبد الله بوفاة طاهر، فأمر بعدم إبلاغه بذلك. ولكن قد أبلغه أحد أصحاب والده بوفاة طاهر فتساءل عن حقيقة الخبر من المأمون. وردّ المأمون مع تقديم تعازيه له، بأنّه لم يستر عنه إلّا لأنّه خشي أن يضعف وهو في وجه حرب فخاف عليه من الفكرة والتواني. (ابن طيفور، ١٤٢٣ ق. ٢٠٠٢ م.، ٧٥) وهكذا، خلافاً لوالده وأخيه طلحة، كان عبد الله موالياً للمأمون.

٢-٣- إخماد ثورة مصر علي يد عبدالله بن طاهر (سال ٢١١ ق. ٨٢٦ م.)

لم يمض وقت طويل على حضور عبد الله طاهر في الرقة حتى تردد الخبر أن والي مصر عبد الله بن السري قد خلع طاعة المأمون. وما زال المأمون يواجه ثورات عديدة في أجزاء مختلفة من أراضيه، فرأى أن عبد الله بن طاهر هو الأكثر اعتماداً والأفضل جدارة لتدمير خصومه. لهذا السبب، أمر عبد الله بن طاهر هذه المرة بالمسير إلى مصر. فسافر عبد الله إلى مصر من بلاد الشام. ووفقاً لليعقوبي، فقد قام «عبدالله بن طاهر» بإعتقال وإخضاع العديد من اللصوص وقطاع الطرق، وكذلك اعتقل الكثير من البدو وشيوخ القبائل المعارضين للخليفة، وقام بتهدة المدن على طول الطريق. ثم أطلق سراح الجميع وأعطى جماعة من الخراج. (اليعقوبي، ١٣٧١، ٢/٤٨١) وأراد بهذا أن يستعطف قلب معارضييه. وقد أدّى هذا الأمر إلي انبهار الكثير من الناس في بلاد الشام به، بل قاموا بمساعدته على صدّ ثورة مصر. ثم أسرع عبدالله بن طاهر لمحاربة عبدالله بن السري وألحق بقواته هزيمة نكراء حيث اضطر أن يهرب مع أصحابه إلي مدينة الفسطاط فحاصروهم عبدالله مع جنوده ولما وجدوا أنهم لا يستطيعون مواجعتهم طلبوا من قائد الخليفة الأمان. (ابن الأثير، ١٣٧١، ٩/٣٩٢٩) وبعد هذا الانتصار أسرع عبدالله بن طاهر إلي الإسكندرية واستطاع أن يضطر الثوار إلي الإستسلام. (الطبري، ١٣٧٥، ١٣/٥٧٣٢)

جلبت انتصارات عبد الله بن طاهر في مصر الكثير من الفرح للمأمون الذي أخضع وأطاع كل أعداءه ومعارضييه في شرق خلافته وغربها علي يد آل طاهر، وقد كان سعيداً جداً بنجاح عبد الله في مصر لدرجة أن كتب إلى عبد الله وأنشد هذه الأشعار:

أخي أنت و مولاي	و من أشكر نعماء
فما أحبيت من أمر	فإني الدهر أهواه
و ما تكره من شيء	فإني لست أرضاه
لك الله على ذاك	لك الله لك الله

(ابن الجوزي، ١٣٥٨ ق.، ١٠/٢٨٠؛ ابن مسكوية، ١٣٧٩، ٤/١٦٤)

وهكذا بعد أن قام عبد الله بن طاهر بتهدة مدن سوريا ومصر والسيطرة على تلك المناطق، أنهى مهمته في مصر ودخل بغداد في سنة ٢١٢ ق. ٨٢٧ م.. (ابن الأثير، ١٣٧١، ٩/٣٩٣٦،

2-4- منح حكومة خراسان لعبدالله بن طاهر

بعد وفاة طلحة بن طاهر في سنة ٨٢٨ م. قد ولي المأمون عبدالله بن طاهر علي خراسان.

لكن عين عبد الله شقيقه خليفة لنفسه لحكم خراسان وهو بقي في بغداد. (الأصبهاني، ١٩٨٨، ٢٠٦) وكان سبب هذا التصرف أن قادة الخليفة لم يتمكنوا من مواجهة بابك خرمدين وطلب الخليفة من عبد الله محاربة بابك. فكان عبد الله كغيره من أفراد آل الطاهر، يرى أن مصالح حكومة آل طاهر تتماشى مع مصالح الخلافة العباسية، فلم يأل جهداً لمواجهة أعداء الخلافة من أي عنصر أو عرق وأي عقيدة كان. فلم يتردد في ذلك وأسرع إلى الدينور (شابشتي، ١٣٨٦ق./١٩٦٦م، ٣٣) وقد نزل خارج مدينة الدينور في مكان قد عرف باسم قصر عبد الله بن طاهر. ثم انتقل من هناك ووصل إلى مدينة بذ الواقعة بين أذربيجان وأران. فقاتل عبد الله بن طاهر وجيشه مع بابك ولكن لم يحققوا انتصاراً وهزم بابك جيش عبد الله بن طاهر وقتل بعض قادة جيشه. (الدينوري، ١٣٨٣، ٤٤٥-٤٤٤)

وفي نفس الوقت، قد أربك الخليفة بسبب تفاقم أجواء خراسان. لأن الخبر كان يتردد أن الخوارج هاجموا قرية الحمراء في نيسابور وقتلوا كل أهل تلك القرية. ومن ناحية أخرى، قد توفي علي بن طاهر ولم يتمكن خليفته من منع الخوارج من غزو مدن خراسان. فكان المأمون شديد الحساسية بشأن الحفاظ على سلام خراسان، وفي رأيه كانت خراسان تمثل كل البلد (اليقوي، ١٣٧١، ٢/٤٧٥) لهذا السبب طلب من عبد الله بن طاهر التخلي عن الحرب مع بابك والاندفاع إلى خراسان ومحاربة الخوارج. (الأصبهاني، ١٩٨٨، ٢٠٧؛ ابن خلكان، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ٨٤/٣) طبعاً بحسب آراء بعض المؤرخين لم يقيم عبد الله بمحاربة بابك، بل خيره المأمون بين خيارين هما الحرب مع بابك أو المسير إلى خراسان. (ابن مسكويه، ١٣٧٩، ٤/١٦٥؛ ابن كثير، ١٤١٨ق./١٩٧٧م، ١٠/٢٦٨)

وهكذا سار عبدالله بن طاهر نحو مدينة مرو وأخذ بمقاليد حكومة خراسان. ووفقاً لآراء اليقوي، وكانت ولايته أربع عشرة سنة في خراسان «بالمثابرة وكمال القوة بينما كانت أمور البلاد هادئة» و«كان عبد الله بن طاهر قد ضبط خراسان ضبطاً ما ضبطه أحد مثله، و دانت له البلاد، و استقامت عليه الكلمة» وقد توفي بخراسان سنة ٢٣٠، ومنزله منها نيسابور وهو ابن سبع و أربعين سنة. (اليقوي، ١٣٧١، ٢/٥٠٨؛ اليقوي، ١٣٥٦، ٨٤)

٥-٢- مواجهة عبدالله بن ظاهر مع خوارج سيستان

بعد أن رجع عبدالله بن ظاهر من مدينة مرو أرسل قائده بعشرة آلاف رجلاً إلى الخوارج، فانتصر بهم وسجل هزيمة الخوارج في خراسان. (الگردیزی، ١٣٦٣، ٢٩٩) وبعد فترة قرر عبد الله أن يقيم في نيسابور على عكس حكام خراسان السابقين وجعلها مركزاً لحكمه ليقوم برصد الخوارج بطريقة أفضل. وبعد هذه المبادرة، أرسل عبد الله قواته باستمرار لمحاربة الخوارج وحقق انتصارات كبيرة. وقد جلبت الأعمال العسكرية التي قام بها عبد الله هدوءاً وأمناً نسبياً في خراسان. وحل السلام في البلاد حيث لم يسبق له مثيل منذ بداية الخلافة العباسية وخاصة خلال حكم هارون الرشيد.

ولكن تحسن الظروف الأمنية في سيستان لم تكن كما كان يتوقعها عبد الله بن ظاهر وكانت هناك مقابلة شديدة من الخوارج وأهل سيستان. وقد أدرك عبد الله بن ظاهر جيداً أن الظلم والإضطهاد والضغط الاقتصادي والاجتماعية هي الأساس والسبب في عداوة أهل سيستان للعباسيين وانضمامهم للخوارج. ولذلك، ومن أجل إحتواء أزمة الخوارج والسيطرة عليها قد أدرج الحلول السياسية والعسكرية والدينية في جدول أعماله. بهذه الطريقة أنه أرسل أولاً مجموعة من قواته مع عدد من علماء السيستان لمحاربة خوارج سيستان. (تاريخ سيستان، ١٣٧٣، ٩١) وفي الواقع كان ينوي عبد الله بالإضافة إلى السيطرة السياسية على هذه المقطوعة، أن يقوم بترويج مذهب الخلفاء العباسيين بدلاً من معتقدات الخوارج وإنشاء حواجز دينية أمام شعب سيستان للانضمام إلى الخوارج. فبهذه الخطة المحنكة والسياسة الفعالة، وعلي مر الزمان، أصبح مذهب السنة، الذي كان مذهب الحكومة العباسية، دين الأغلبية الساحقة لشعب سيستان.

بالإضافة إلى ذلك، بما أن الفقر كان من الدوافع الاقتصادية لأهل سيستان في انضمامهم إلى الخوارج، فمن أجل تقليص الأسباب الاقتصادية والقضاء عليها، والحصول على مساعدة الناس وأهل سيستان فقد دفع عبد الله الكثير من الدراهم والدنانير لقادته لمنحها للناس. وقد أدى إرسال قوات خراسان لمحاربة الخوارج إلى إرهابهم وقتل الكثير منهم، ولهذا السبب هاجر الخوارج لفترة إلى كرمان من أجل أن يكونوا آمنين. (تاريخ سيستان، ١٣٧٣، ٩٤) ثم أمر عبد الله بن ظاهر حكامه في سيستان بالتسامح والتعاطف والعدل مع الناس من أجل منعهم من الانضمام إلي الخوارج. وعندما حلت كارثة طبيعية بشعب سيستان، أرسل هناك حوالي ثلاثمائة ألف

درهماً لتوزيعها على المتضررين. (تاريخ سيستان ، ١٣٧٣ ، ٩٣) وجدير بالذكر أن عبد الله بن طاهر قد أدرك ببصيرة ويقظة أن السبيل الوحيد لإحلال السلام في الأراضي التي كانت تحت حكمه، هو إرساء الإزدهار الإقتصادي والعدالة، ولذلك قد بذل قصاري جهوده لتحقيق البرامج المذكورة أعلاه. ولكن وفاة عبد الله بن طاهر حالت دون اجتثاث فتنة الخوارج بشكل كامل.

٣- علاقة عبدالله بن طاهر بالمعتصم العباسي

٣-١- تشاؤم المعتصم بعبدالله بن طاهر

عندما تولّى المعتصم العباسي مقاليد الخلافة، قد توترت علاقات عبد الله بن طاهر مع الخليفة لفترة. وكان سبب هذا التوتر في العلاقات هو حقد المعتصم لعبد الله بن طاهر. فترجع القضية إلي زمن كان فيه عبد الله حاجباً للمأمون وذات يوم كان المعتصم مع العديد من عبيده حاول الدخول علي المأمون من دون إذن. فمنعه عبد الله من الدخول وتجادل معه. وقال للمعتصم «هذا ليس وقت إلقاء التحية مع العديد من العبيد». وقال له المعتصم: «ربما تجلس مع أربعمئة من العبيد، ولكنني بهذا لن أجلس مع هذا الشعب». فأجاب عبد الله بحدة: «إذا جلست مع أربعمئة من العبيد فلن أظنك تجلس مع أربعة عبيد». (الگردیزی، ١٣٦٣، ٣٠٠) فقرر المعتصم الذي كان غاضباً ولم يتمكن من زيارة الخليفة، أن يعرض عن فعلة عبد الله. ولكن عندما سمع المأمون بذلك، يبدو أنه قد صالح بينهما ومنع شقيقه أن يلحق الأذى بعبد الله بن طاهر. وكان عبد الله بن طاهر ذا ثقة ومصداقية عند المأمون حيث أنه قبل وفاته أعد وصيته في ثلاث نسخ وأرسل إحداها إلى عبد الله بن طاهر (الفصیحی الخوافی، ١٣٨٦، ١/٣٢٦) ولكن المأمون كان قلقاً من حقد المعتصم، وكان يخشي أن يؤدي تصرفه غير العقلاني تجاه عبد الله بن طاهر إلى إرباك علاقة الطاهريين بالخلافة العباسية، وأن يسبب ذلك مشاكل كثيرة للحكومة العباسية وخاصة في خراسان، فأمره: «أترك عبد الله بن طاهر لعمله ولا تستفزّه. إنني أعرف ما حدث لكما في حياتي وفي حضوري. كن لطيفاً معه واجعله هو المحسن الخاص بك، وأنت تعلم بجهوده وعمله لأخيك». (الطبري ، ١٣٧٥ ، ١٣/٥٧٧٤) ولكن عندما تولّى المعتصم الخلافة عمل خلافاً لهذه النصيحة وحاول القضاء على عبد الله. بهذه الطريقة أنه أرسل جارية جميلة كهدية إلى عبد الله بن طاهر وأمرها أن تدس السم له. لكن الجارية تعلقت بعبد الله وباحت بسر الخليفة. (الگردیزی، ١٣٦٣، ٣٠٠)

في ضوء ما سبق، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا لم يقيم المعتصم بخلع عبد الله بن طاهر من حكومة خراسان؟ ألم يكن في ظروف موالية تسمح له بذلك وكان يخاف من ردود فعل أهل خراسان، أم اتخذ القرار العقلاني أن يبقى عبد الله في حكومة خراسان، في ظل انتشار ثورة بابك الخرمي؟ فيمكن اعتبار الأسباب التالية لتبرير عمل الخليفة: ١- بالنظر إلى الأعمال الإيجابية التي قام بها عبد الله في المجالين الإقتصادي والسياسي واحتلال الأمن والسلام، فقد اكتسب بالتأكيد شعبية كبيرة بين أهل خراسان. وبالإضافة إلى ذلك، كان جيش خراسان مؤيداً لعبدالله. لهذا السبب لم يكن المعتصم على يقين من أن سادة خراسان وأهلها وجنودها سيخضعون بعزل عبد الله بن طاهر ويلتزمون الصمت ولا يتمردون علي الخلافة. فكيف يكون رد المعتصم علي معارضتهم في هذه الظروف؟ ألم يخلق هذا الأمر الكثير من المشاكل للخلافة وربما يؤدي إلى تقسيم الخلافة؟ ٢- ومن يستطيع أن يعارض ويقمع الخوارج مثل عبد الله؟ وهكذا وبمرور الزمن، قد أدرك المعتصم أنه أخطأ في خلع عبد الله بن طاهر فأقر المعتصم بذلك في رسالة كتبها لعبد الله بن طاهر، فقال: «عافانا الله معاً فقد كانت في نفسي عليك حزازات غيرها بقاء الانتقام عليك لك.» (الشابشتي، ١٣٨٦ق. ١٩٦٦م. ٣٣)، قد حاول المعتصم أن يعوّض الكراهية التي حصلت في الماضي بل اعترف أيضاً عند الآخرين أن عبد الله بن طاهر رجل لم ير أحد مثيلاً له. (الطبري، ١٣٧٥، ١٤/٥٩٥٩) لهذا السبب بعد أن صلب بابك الخرمي في بغداد، بعث برأسه إلي خراسان ليعرض علي الناس. (ابن كثير، ١٤١٨ق. ١٩٧٧م. ، ١٠/٢٨٥) وطاف عبد الله بن طاهر برأسه في مدن خراسان وصلبه في نيسابور. (البلعمي، ١٣٧٣، ٤/١٢٧٥) وطبعاً كانت لبعض أفعال عبد الله كصدّ ثورة محمد بن القاسم العلوي أثر إيجابي في تغيير وجهة نظر المعتصم.

٢-٣- قمع ثورة محمد بن قاسم بن علي العلوي علي يد عبدالله بن طاهر(سال

٢١٩ق. / ٨٣٤م.)

مع أن الطاهريين ومنهم عبد الله بن طاهر كانت له علاقات حسنة وقرابة مع العلويين وكان يحترمهم (ابن فندق، ١٣٦١، ٥٥) ولكن من المؤكد أن عبد الله كان مستعداً لمواجهة إجراءات الشيعة السياسية ضدّ بني العباس ومحاربتهم إنصياًعاً لسياسات الخلافة العباسية.

تعتبر ثورة محمد بن القاسم العلوي من أهم الحركات السياسية العلوية التي حدثت في عهد عبد الله بن طاهر في خراسان. بعد أقل من بضعة أشهر على بدء خلافة المعتصم، قام أحد العلويين الزيديين باسم محمد بن القاسم في طالقان بخراسان ودعا الناس إلى شعار «الرضا من آل محمد(ص)» (النويري، ١٤٢٤ق. / ٢٠٠٤م. ، ١٧٥-٢٢/١٧٤؛ ابن كثير، ١٤١٨ق. / ١٩٧٧م. ، ١٠/٢٨٢) بدأ محمد بن القاسم ثورته من الكوفة، ثم توجه إلى مرو بدعوة من شيعة خراسان. وبايعه حوالي أربعين ألف نسمة هناك (ابن الأثير ١٣٧١ ، ٩/٣٩٧٧) والكثير من أهل مدينة الري. (الأصبهاني ، ١٣٦٧ ، ٥٤٣) ثم أعلن ثورته في طالغان.

فلما بلغ خبره عبد الله بن طاهر وجه إليه الجيوش، فانهزم أخيراً محمد وأصحابه وتفرقوا في النواحي والأكام، فألقي القبض علي محمد بن القاسم (الطبري، ١٣٧٥ ، ١٣/٥٨٠٠) فأرسله عبدالله بن طاهر إلي المعتصم في بغداد. من المؤكد أن تصرفات عبد الله في هذه الحادثة كان لها تأثير كبير على معتصم وأثبتت له أن عبد الله بن طاهر يتبع سياسات الخلافة العباسية (ابن مسكويه ، ٤/١٧٧) ويعتبر أعداء الخليفة أعداء له. ولهذا ندم المعتصم على ما فعله بعبد الله بن طاهر وحاول أن يتفقد.

٣-٣- دور عبدالله بن طاهر في قتل مازيار وأفشين علي يد المعتصم

مازيار بن قارن من رواسب عهد الأمراء الساسانيين وحاكم جزء من طبرستان، ذهب إلى البغداد أثناء خلافة المأمون واعتنق الإسلام (ابن اسفنديار ، ١٣٦٦ ، ٢٠٧) وأصدر المأمون مرسوم حكومة طبرستان باسمه. (نفس المصدر، ٢٠٨) وأثناء خلافة المعتصم، أبلغ عبد الله بن طاهر أن مازيار يسيء بمسلمي طبرستان، وبما أن حكومة طبرستان كانت تحت حكم خراسان وكان على حاكم طبرستان أن يدفع الخراج لآل طاهر، فقد طلب عبد الله بن طاهر من مازيار أن يعامل المسلمين بشكل مناسب. ولكن مازيار كان منافراً لعبد الله بن طاهر (ابن خلدون ، ١٣٨٣ ، ٢/٤٨١) فأجاب بأنه لن يرسل الخراج إلى عبد الله بن طاهر، بل يرسلها مباشرة إلى الخليفة. (الذهبي، ١٤٠٧ق. / ١٩٨٧م. ، ١٦/١٦)

ومن ناحية أخرى، إن أحد قادة المعتصم باسم أفشين الذي كان شهيراً وكان من أصل خراساني عظم محله عند الخليفة بهزيمة بابك الخرمي واعتقاله، وكان يسمع أحياناً عن استياء الخليفة من عبد الله ابن طاهر فطمع في ولاية خراسان. (ابن الأثير، ١٣٧١ ، ٩/٤٠٤٤) وقد أدت هذه القضية إلى البحث عن طريقة لعزل عبد الله بن طاهر من

حكومة خراسان بالخداع والخيلة وأن يحصل علي حكم خراسان وما وراء النهر مكانه. فبحسب آراء الطبري، كان عبد الله بن طاهر على علم بكراهية أفشين لنفسه (الطبري، ١٣٧٥، ١٣/٥٩٢٣) وكان يعلم أن هذا القائد كان يسعى إلى إخراج حكم أراضي الخلافة الشرقية من أيدي الطاهريين. ولتحقيق هدفه قد أرسل أفشين العديد من الرسائل إلى مازيار سراً ليحرضه على عداوة عبد الله بن طاهر. وكان يظن أنه في حالة حدوث الخلاف بين الاثنين لن ينهض عبد الله لمحاربة مازيار وسيبعث الخليفة أفشين لقمعه. (اليقوي، ١٣٧١، ٢/٥٠٣؛ مجمل التواريخ والقصص، ١٣١٨، ٣٧٥) ومن خلال هزيمة مازيار سيتمكن أفشين بعد ذلك من الحصول على موافقة الخليفة لتولي حكومة خراسان وما وراء النهر. (ابن كثير، ١٤١٨ق. / ١٩٧٧م.، ١٠/٢٨٩)

قد أعلن مازيار تمرده ضد عبد الله وأيضاً ضد الخليفة متأثراً بتحريض أفشين، وأمر بتدمير المساجد في طبرستان ومحو آثار المسلمين. (الأملي، ١٣٤٨، ٧٤) كما أمر المعتصم عبد الله بن طاهر بالمسير إلى طبرستان لقمع مازيار وأرسل جيشاً كبيراً من بغداد لمساعدة عبد الله بن طاهر. وخلافاً لإعتقاد أفشين تمكنت قوات آل طاهر بقيادة عبد الله بن طاهر من الاستيلاء على العديد من مناطق طبرستان واعتقال مازيار وبعثه إلى المعتصم، فأصدر المعتصم أمراً بقتل مازيار. (المسعودي، ١٣٧٤، ٢/٤٧٤؛ المرعشي، ١٣٤٥، ٦٥) عندما كان مازيار في طريقه إلى بغداد، اعترف لعبد الله بن طاهر أن أفشين كان شريكاً له وأنهم كانوا يعتزمون استعادة مملكة ما قبل الإسلام في إيران (المقدس، لا تا، ٦/١١٩، المرعشي، ١٣٤٥، ٦٦) وكان ينوي أفشين قتل المعتصم في سامراء. فأرسل عبد الله بن طاهر على الفور رسولاً إلى الخليفة وأبلغه خطة أفشين. ونتيجة لذلك، في عام ٢٢٦هـ، أصدر المعتصم أمراً باعتقال وقتل أفشين. (الأملي، ١٣٤٨، ٧٥؛ ميرخواند، ١٣٨٠، ٣/٢٦٤٧)

وهكذا مع إعادة توحيد قوات الطاهريين والعباسيين قد تمّ إزاحة إحدي المخاطر والمخاوف للخلافة العباسية والطاهريين. وتسبب ذلك في إبادة أعداءهم. وبعد ذلك، تم تسليم إدارة منطقة طبرستان إلى آل طاهر من قبل الخليفة، وولي عبد الله بن طاهر ابنه المسمى طاهر على عرش طبرستان إلي أن قامت الحكومة العلوية في طبرستان. (الأملي، ١٣٤٨، ٧٦؛ المرعشي، ١٣٤٥، ٦٧)

٤- علاقة عبدالله بن طاهر بالوفاق بالله العباسي (٢٢٧-٢٣٠ ق. / ٨٤١-٨٤٤ م.)

بعد نظر عبد الله بن طاهر وصبره في التعامل مع المعتصم ودرايته في حكم خراسان ومحاربتة لأعداء الخلافة، جعلت المعتصم في السنوات الأخيرة من خلافته ألا يفكر في خلع عبد الله بن طاهر من حكومة خراسان، بل يعترف أنه لا توجد عائلة مثل الطاهريين ضحوا بحياتهم وبذلوا جهوداً مضيئة من أجل مصالح الخلافة. (الطبري، ١٣٧٥، ٥٩٦٠-٥٩٥٩/١٤) وازدادت مكانة الطاهريين وقيمتهم المثالية عند المعتصم لدرجة أنه وفقاً لرسوم الحكم العباسي، كانت تدور رؤوس الأعداء المشهورين للخليفة في مناطق مهمة من بلدان الخلافة. وبعد إعدام بابك الخرمي بعث عبد الله برأسه إلى خراسان ليعرض علي الجمهور. (النويري، ١٤٢٤ ق. / ٢٠٠٤ م.، ٢٢/١٨٠ ؛ ابن كثير، ١٤١٨ ق. / ١٩٧٧ م.، ١٠/٢٨٥) هذه المكانة المرموقة للطاهريين جعلت الخلفاء العباسيين أن يقتنعوا بالحفاظ على الطاهريين على حكومة خراسان. وفي ظل هذه الظروف وبعد وفاة المعتصم قد أكد ابنه الوفاق علي حكم عبد الله بن طاهر لخراسان وأرسل إليه الأمر بحكم الأراضي الشرقية للخلافة. (تاريخ سيستان، ١٣٧٣، ٩٥)

ومن جهة، استطاع عبد الله أن يهزم أعداء الخلافة ويخضعهم في أماكن مختلفة في عهد المأمون والمعتصم، ومن جهة أخرى بسبب حكمه العادل وتعديلاته الاقتصادية والاجتماعية استطاع أن ينال رضا الجمهور من أهل خراسان. (الگرديزي، ١٣٦٣، ٣٠١) وفي فترة قبل حكم الطاهريين كانت خراسان والأراضي الشرقية للخلافة دائماً مركزاً للحركات الانفصالية والانتفاضات، ولكن لم توجد أي تقارير عن هذه الحركات في المصادر في عهد عبد الله بن طاهر. وهذا بالتأكيد لم يكن دون العلاقة بعدالة الطاهريين في الحكم. ولكن المشكلة الوحيدة التي لم يستطع الطاهريون القضاء عليها تماماً هي قضية الخوارج التي مهدت الطريق لاحقاً لنكبتهم.

استمرت سياسة عبد الله بن طاهر في اتباع وطاعة الخلفاء العباسيين من قبل خلفائه حتى سقوط حكم هذه السلالة وعززت نفوذ العباسيين في أراضي الخلافة الشرقية. وخلال هذه الفترة، تم تعزيز أسس حكومة الطاهريين من قبل عبد الله بن طاهر لدرجة أن الخلفاء العباسيين علي أساس مصالحهم الخاصة وبجانب هذه السياسة حافظوا عليهم في حكومة خراسان. وبعد وفاة عبد الله بن طاهر، سلم الوفاق العباسي جميع مناصبه بما في ذلك حكم خراسان وبغداد وقيادة جيش بغداد، ومحافظة السواد والري وطبرستان وكرمان إلى نجله طاهر (الشابشتي، ١٣٨٦ ق. / ١٩٦٦ م.، ٣٤؛ الطبري،

عبدالله بن طاهر ودوره في ازدهار سياسة الخلافة العباسية وإنجازاتها (628)

١٣٧٥، ١٤/٥٩٧٠) كما ولي طاهر ابن عمه إسحاق بن إبراهيم في جميع مناصبه في العراق. (الأصبهاني، ١٣٦٧، ٢٠٧)

وجدير بالذكر أن القضية التي ظهرت لأول مرة في علاقات الطاهريين والعباسيين هي أن عبد الله بن طاهر عين ابنه طاهر خلفاً له بما كان يمتلك من قوة ونفوذ وقيمة عظيمة في عهد العباسيين. وبقبول هذه الخلافة من قبل الواثق العباسي قد أكد علي الحكم الوراثي لآل طاهر، واستمرت هذه الظروف حتى نهاية حكومة الطاهريين. (الجوزجاني، ١٣٦٤، ١٩٣)

٥- خطوات عبدالله بن طاهر الدينية والسياسية والإقتصادية في إدارة خراسان

اندلاع انتفاضات الخوارج والعلويين وهواة الزرادشتية ضد العباسيين في خراسان الكبرى وما وراء النهر كانت تستوجب الممارسات الدينية في الأراضي الشرقية للخلافة. وبسبب أثر رجال الدين وعلماء الدين في الشرائع المختلفة من الناس إذا تم اتساع نطاق الدين الرسمي للحكومة العباسية في هذه الأراضي، فإن احتمالية تمرد الناس ضد الخلافة العباسية ستتقلص وسيقضي عليها. وقد تم استخدام هذه السياسة مراراً وتكراراً في العصر العباسي، وكما ذكرنا آنفاً قد استخدم عبد الله بن طاهر هذه الطريقة في سيستان.

وقد بذل آل طاهر كحليف للحكومة العباسية جهوداً كبيرة لتعزيز العلوم الدينية وقدمت الكثير من المساعدات المادية للطلاب العلوم الدينية من خلال إنشاء المدارس الدينية والفقهية. (ابن فندق، ١٣٦١، ١٥٧) وبالإضافة إلى ذلك، من خلال العلاقات الزوجية والاتصال المستمر بالعلماء وعوائل السادة، قاموا بتطوير وتعزيز مكانة رجال الدين في المجتمع. (نفس المصدر، ٥٦) في كتابي تاريخ بيهق وتاريخ نيسابور، قد تم ذكر أسماء عدد كبير من علماء الدين ومدارسهم الذين عاشوا في هاتين المدينتين وكانوا يمارسون الأنشطة الدينية وقاموا بتدريب العديد من الطلاب. وبعد تخرج هؤلاء الطلاب قد ذهبوا إلى مدن وقرى في خراسان وقاموا بترويج الديانات السنية. فنظراً لاهتمام عبد الله بن طاهر والطاهريين، أصبحت مدينة نيسابور مقراً لرجال الدين وعلماء مذهب السنة واستمرت المركزية الدينية لنيسابور حتى العصر السلجوقي. حتى وأن بعض شيوخ ورواة حديث السنة منهم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦-١٩٤ ق.) والإمام مسلم بن حجاج النيسابوري (٢٦١-٢٠٢ ق.) والحاكم النيسابوري (٤٠٥ - ٣٢١

ق. قاموا بجمع الكتب وتدوين الكتب المعروفة في نيسابور آنذاك. (الحاكم النيسابوري، ١٣٧٥، ٢٣٩)

بسبب التعاليم والدعايات الدينية التي اندلعت خلال فترة حكم الطاهريين وخاصة في عهد عبد الله بن طاهر، قد تضاعفت الميول الدينية المعارضة للعباسيين إلى حد كبير أو تم القضاء عليها وأصبحت خراسان وما وراء النهر من المراكز المهمة للمذهب السني في العالم الإسلامي. وعلى عكس من الثورات التي كانت تحدث عادة خلال الخلافة العباسية في خراسان، لم تسنح الفرصة لحدوث إنتفاضة بابك الخرمي الكبرى في خراسان، ولكن قد حدثت هذه الإنتفاضة في همدان وأذربيجان.

وبالإضافة إلى ذلك، قام عبد الله بن طاهر سلسلة من التعديلات السياسية والاقتصادية للقضاء على استياء الناس تحت حكمه. قام أولاً بفصل محمد بن حميد الطاهري الذي كان من أقاربه، من خلافته في نيسابور بسبب سوء معاملته للناس. (الگردیزی، ١٣٦٣، ٢٩٩؛ ابن الأثير، ١٣٧١، ١٧/١٨١) وبعد أن دخل نيسابور اختار حي شادياخ مقراً لقواته وحكومته حتى لا يضطهد الشعب. (الحاكم النيسابوري، ١٣٧٥، ٢٠١)

قد بذل عبد الله اهتماماً كبيراً في تطور الزراعة وازدهارها في قرى خراسان، وقد تم بناء العديد من الأنابيب والقنوات المائية في نيسابور بأمره (الحاكم النيسابوري، ١٣٧٥، ٢١٤) وعندما وافي نيسابور والياً عليها وقف على تل وقال للناس من حوله، «لا أجيئكم حتى أحميكم». (المقدسي، لا تا، ٤/٧٩)

وأوعز إلى رؤوسيه التحلي بالصبر على المزارعين وتوفير الإمكانات اللازمة لهم ومساعدتهم على زيادة إنتاجهم الزراعي، لأن الله تعالى قد حرم الظلم في حقهم. (الگردیزی، ١٣٦٣، ٣٠٢) وبسبب تدمير القنوات المائية والأنابيب، قد ذهب الفلاحون في خراسان إلى عبد الله وطلبوا منه إعادة إعمارها. وأثناء إعادة بناء القنوات طلب عبد الله من فقهاء خراسان كتابة أحكام القنوات واستخدام مياه القناة وفقاً لذلك الكتاب. وأطلق على هذا الكتاب اسم «كتاب القاني» وكان هذا الكتاب مرجعاً لمزارعي خراسان لقرون بعد عبد الله. (الگردیزی، ١٣٦٣، ٣٠١) ونتيجة لجهود عبد الله في ازدهار وتنمية القرى، قد تقلص انضمام القرويين إلى الخوارج.

ومن جهة أخرى قد أرسل عبد الله بن طاهر ابنه طاهراً لفتح أرض أتراك غوز، وتم فتح المدن التي لم يصل إليها أحد من قبله. (البلاذري، ١٩٨٨، ٤١٦) وقد سبب فتح

أراضي غوز في توسع أراضي الطاهريين وإرسال العبيد الأتراك إلى مدن خراسان وبغداد، وتبعاً لذلك الازدهار الاقتصادي ل: ما وراء النهر وخراسان والعراق. (فراي، ١٣٦٣، ٨٨)

وهكذا، مع الإجراءات التي اتخذها عبد الله في إدارة خراسان، لم يجلب السلام والراحة لشعبها فحسب، بل أَرْضَى الخلافة العباسية أيضاً وأزال مخاطر التمرد في هذه الأراضي لفترة طويلة.

عدالة عبد الله بن طاهر وحسن سلوكه وخلقه وجدت له مصداقية وشعبية حيث كان يزار مرقده في مدينة نيسابور لسنوات من قبل الناس والعلماء وأشخاص كخواجة نظام الملك الطوسي وزير العصر السلجوقي الشهير وكانوا يترادون علي قبره لإستجابة حوائجهم. (الحاكم النيسابوري، ١٣٧٥، ٢٣٨؛ نظام الملك الطوسي، ١٣٤٧، ٦٣)

النتيجة

١- من القضايا المهمة التي يجب الاعتراف بها والتي لم تذكر في البحوث التاريخية إلّا القليل، هو الدور الفعال والبارز لعبد الله بن طاهر في تطورات حقبة المأمون والمعتصم. فلم يقدّم بصدّ العديد من الثورات المعارضة للعباسيين كقائد عظيم فحسب، بل بحكمه القوي ودرايته أقام السلام في خراسان الكبرى التي تعتبر من أكثر أراضي الخلافة العباسية أهمية وحساسية، ويمكن القول إنه لعب دوراً بارزاً في ظهور العصر الذهبي للخلافة العباسية في فترة الخلفيتين المذكورين. وتجدد الإشارة إلى أن كل حاكم وحكومة تحتاج إلى أسباب مختلفة للنجاح وتحقيق أهدافها. فمن العوامل الرئيسة والمهمة لنجاح الحكومات هو حضور أشخاص أكفاء. فيعتبر عهد المأمون والمعتصم هو العصر الذهبي للخلافة العباسية. وبالتأكيد، كان هناك الكثير من الأشخاص الذين استطاع الخليفة بمساعدتهم أن يثبت هذا المجد في حكومته. يعتبر الأمن والهدوء السياسي من ضروريات الإزدهار الاقتصادي والثقافي. فقد بذل آل طاهر وخاصة طاهر وابنه عبد الله جهوداً مضيئة لاستتباب الأمن في حكومة المأمون ولعبوا دوراً مهماً في إرساء أسس العصر الذهبي العباسي.

٢- من أهم الأعمال العسكرية التي قام بها عبد الله بن طاهر في خدمة الخلافة العباسية كانت هي:

- قمع تمرد نصر بن الشيث، ثورة سوريا ودمشق، ثورة مصر والإسكندرية، ثورة مازيار في طبرستان كقائد لجيش المأمون المعتصم.

- قمع الحركة العلوية والانتفاضة في خراسان.
- الصدد لهجمات الخوارج ونهبهم في سيستان وخراسان.
- ٣- أهم الخطوات الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي قام بها عبد الله بن ظاهر انسجاماً مع سياسات الخلافة العباسية كانت:
 - الاهتمام بالزراعة والنهوض بالتجارة.
 - التواصلات الحميمة مع الناس والطبقات الضعيفة من المجتمع وإرساء العدل والمساواة بين الناس خاصة في خراسان وسيستان.
 - ترويح مذهب السنة في خراسان الكبرى وسيستان وما وراء النهر.
- ٤- قد لعب عبد الله بن ظاهر دوراً مهماً في ظهور وتأسيس نظام الحكم الجديد في إيران خلال الخلافة العباسية، وهو إنشاء حكومات وراثية وأهلية تابعة للعباسيين. على الرغم من أن حكومة الطاهريين قد تأسست تحت اسم طاهر بن الحسين إلا أن إجراءات عبد الله وخطواته هي التي سببت في إبقاء الطاهريين واشتغالهم في تاريخ الإسلام وإيران. فإذا كان عبد الله حاكماً ضعيفاً في تحقيق الأهداف السياسية والدينية للعباسيين لنزعت منه حكومة خراسان من قبل خليفة بغداد وما استمرت حياة حكومة تسمى بالطاهريين. ومن ناحية أخرى، إن القوة المتزايدة لآل طاهر وثقة الخلفاء بهم قد أسقطت حكومة خراسان من أيدي الخلفاء وجعلتها تتوارث بين أيدي أمراء الطاهريين. ومع ذلك، لم يلحق أي اضطراب في ولاء الطاهريين للعباسيين.
- ٥- وبالتأكيد قد بدأت الخطط السياسية والدينية والثقافية الطويلة المدى للعباسيين في خراسان الكبرى منذ زمن المأمون في مرو واستمرت في ظل حكم طاهر بن الحسين وابنه طلحة. إلا أن الجهود المضنية التي بذلها عبد الله بن طاهر في تحقيق هذه الخطط أدت إلى ازدهار الأهداف السياسية والدينية للعباسيين في عهد عبد الله بن طاهر وخلفائه. وخلال حكم عبد الله بن طاهر، تم الحفاظ على جميع المصالح السياسية والاقتصادية والدينية للعباسيين في الأراضي الشرقية للخلافة، وكاد الخلفاء العباسيون يشعرون بالارتياح من الاضطرابات في خراسان الكبرى. فإنها كانت تشوش أفكارهم دائماً قبل أن يستلم مقاليدها آل طاهر.

قائمة المصادر والمراجع

- الأملي، ولي الله، ١٣٤٨، تاريخ رويان، به تصحيح و تحشيه منوچهر ستوده. تهران، انتشارات بنياد فرهنگ ايران.

عبدالله بن ظاهر ودوره في ازدهار سياسة الخلافة العباسية وإنجازاتها (632)

- ابن الأثير، عز الدين علي بن اثير، ١٣٧١شمسي، تاريخ كامل، جلد ٩ و ١٧، ترجمه ابو القاسم حالت و عباس خليلي، تهران، موسسه مطبوعاتي علمي.
- ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن، ١٣٦٦، تاريخ طبرستان، تصحيح عباس اقبال. تهران، پديده خاور.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي محمد بن الجوزي، ١٣٥٨ق.، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، جزء ١٠، الطبعة الاولى، بيروت، دارصادر.
- ابن خلدون، ابوزيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، ١٣٨٣شمسي، العبر(تاريخ ابن خلدون)، جلد ٢، ترجمه عبدالمحمد آيتي، تهران، پژوهشگاه علوم انساني و مطالعات فرهنگي.
- ابن خلكان، ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد، ١٣٩٨ق./١٩٧٨م.، وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان، مجلد ٣، حققه الدكتور احسان عباس، بيروت، دار صادر.
- ابن طيفور، ابي فضل احمد بن طاهر الكاتب، ١٤٢٣ق./٢٠٠٢م.، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية(كتاب بغداد)، تحقيق عزت العطار الحسيني، قاهره مصر، مكتبة الخانجي.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر كثير، ١٤١٨ق./١٩٧٧م.، البدايه والنهايه، جزء ١٠، بيروت، مكتبة المعارف.
- ابن المسكويه، ابو علي الرازي، ١٣٧٩ شمسي، تجارب الامم، المجلد الرابع، تحقيق دكتور ابوالقاسم امامي، تهران، سروش.
- ابوالفداء، الملك المويد اسماعيل، بي تا، المختصر في اخبار البشر، بيروت، دارالمعروفه.
- الاصفهاني، ابوالفرج، ١٣٤٩، مقاتل الطالبين، ترجمه رسولي محلاتي، مقدمه و تصحيح اكبر غفاري، تهران، نشر صدوق.
- الاصفهاني، حمزه بن حسن، ١٣٦٧، تاريخ پيامبران و شاهان، ترجمه جعفر شعار، تهران، اميركبير.
- العسكري الحنبلي، عبدالحفي بن احمد بن محمد، ١٤٠٦ق.، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جزء ٣، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. دمشق، الناشر دار بن كثير.
- البغدادي، ابومنصور عبدالقاهر، ١٣٥٨ شمسي، الفرق بين الفرق(درتاريخ مذاهب اسلام)، ترجمه محمد جواد مشكور، تهران، اشراقي.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، ١٩٨٨، فتوح البلدان، بيروت، دار و مكتبة الهلال.
- البلعمي، ابو علي محمد بن محمد، ١٣٧٣شمسي، تاريخنامه الطبري، جلد ٤، تحقيق محمد روشن، تهران، البرز.
- البيهقي، ابوالفضل محمد بن حسين، ١٣٧٤ شمسي، تاريخ بيهقي، تصحيح دكتور علي اكبر فياض، تهران، دنياي كتاب.

عبدالله بن ظاهر ودوره في ازدهار سياسة الخلافة العباسية وإنجازاتها (633)

- ابن فندق، علي بن زيد بيهقي، ١٣٦١ شمسي، تاريخ بيهق، به تصحيح و تعليقات احمد بهمينار. تهران، كتابفروشي فروغي.
- الجوزجاني، منهاج السراج، ١٣٦٤ شمسي، طبقات ناصري، تصحيح عبدالحلي حبيبي، تهران، اطلاعات.
- الجهشيارى، ابو عبدالله محمد بن عبدوس، ١٣٤٨ شمسي، كتاب الوزراء و الكتاب، ترجمه ابو الفضل طباطبايي، تهران، تابان.
- الحاكم النيسابوري، ابو عبد الله، ١٣٧٥ شمسي، تاريخ نيسابور، ترجمه خليفه نيشابوري، تهران، نشر آگه.
- خليفه، ابو عمرو خليفه بن خياط، ١٩٩٥/١٤١٥، تاريخ خليفه بن خياط، تحقيق فواز، بيروت، دار الكتب العلميه، ط الأولى.
- خواند مير، غياث الدين، ١٣٥٣ شمسي، حبيب السير، جلد ٢، زير نظر دبیر سياقي، تهران، خيام.
- الدينوري، احمد بن داود، ١٣٨٣ شمسي، اخبار الطوال، ترجمه محمود مهدي دامغاني، تهران، نشر ني.
- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، ١٤٠٧ق. / ١٩٨٧م.، تاريخ الاسلام و وفیات المشاهير و الاعلام، جزء ١٣-١٤-١٦، تحقيق عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتب العربي.
- الشابشتي، علي بن محمد، ١٣٨٦ق. / ١٩٦٦م.، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد، مكتبة المثني.
- الشبانكاره اي، محمد بن علي، ١٣٨١ شمسي، مجمع الانساب، تصحيح ميرهاشم محدث، تهران، اميركبير، جلد ١.
- الطبري، محمد بن جرير، ١٣٧٥ شمسي، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، جلد ٩-١٠-١٣، ترجمه ابوالقاسم پاينده، تهران، اساطير.
- فصيح خوافي، احمد بن محمد، ١٣٨٦ شمسي، مجمل فصيح، جلد اول، تهران، اساطير.
- فراي، ريچارد، ١٣٦٣، تاريخ ايران از اسلام تا سلاجقه، جلد ٤، ترجمه حسن انوشه، تهران، اميركبير.
- الگريدزي، عبدالحلي بن ضحاک بن محمود، ١٣٦٣ شمسي، تاريخ گريدزي، به تصحيح عبدالحلي حبيبي، تهران، دنياي كتاب.
- گمنام، اخبار الدولة العباسيه، ١٣٩١ قمری، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري و عبدالجبار المطلبی، بيروت، دار الطلبة للطباعة والنشر.
- گمنام، تاريخ سيستان، ١٣٧٣ شمسي، ويرايش متن جعفر مدرس صادقي، چاپ اول، تهران، نشر مرکز.

عبدالله بن ظاهر ودوره في ازدهار سياسة الخلافة العباسية وإنجازاتها (634)

- گمنام، مجمل التواريخ والقصص، ١٣١٨ شمسي، تصحيح ملك الشعراء بهار، تهران، كلاله خاور.
- المرعشي، سيد ظهير الدين بن سيد نصير الدين، ١٣٤٥ شمسي، تاريخ طبرستان و رويان و مازندران، محقق / مصحح: محمد حسين تسيحي، تهران، مؤسسه مطبوعاتي شرق.
- المسعودي، علي بن حسين، ١٣٦٥ شمسي، التنبيه و الاشراف، ترجمه ابوالقاسم پاينده، تهران، شركت انتشارات علمي و فرهنگي.
- المسعودي، علي بن حسين، ١٣٧٤ شمسي، مروج الذهب و معادن الجواهر، جلد ٢، ترجمه ابوالقاسم پاينده، تهران، علمي و فرهنگي.
- المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء و التاريخ، مجلد ٤، بي تا، بورسعيد، مكتبة الثقافه الدينيه.
- ميرخواند، محمد بن خاوند شاه، ١٣٨٠ شمسي، تاريخ روضه الصفا في سيره الانبياء و الملوك و الخلفاء، جلد ٣، تصحيح و تحشيه جمشيد كيان فر، تهران، اساطير.
- نظام الملك الطوسي، ابو علي حسن، ١٣٤٧، سيرالملوك (سياستنامه)، به اهتمام هيوبرت دارك، تهران، بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
- النويري، شهاب الدين بن احمد، ١٤٢٤ق. / ٢٠٠٤م، نهايه الارب في فنون الادب، تحقيق مفيد قمحيه و جماعه، جزء ٢٢، بيروت، دارالكتب العلميه.
- اليعقوبي، احمد بن ابي واضح، ١٣٥٦ شمسي، البدان، ترجمه دكتور محمد ابراهيم آيتي، تهران، بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
- -----، ١٣٧١ شمسي، تاريخ يعقوبي، جلد ٢، ترجمه محمد ابراهيم آيتي، تهران، علمي و فرهنگي.